

الأخلاق 15 أدب العالم مع طلبته الحصة الثامنة و الاخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا سهل إلا ما سهلته، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، فأجعلني الحزن سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفهماً يا رب العالمين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبارك الله يومي ويومكم، وأعمالكم، ونفعني الله وإياكم بهذا اللقاء بجاه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الشرفاء، مع درس جديد من دروس مادة الأخلاق، ومع كتاب تذكرة السامع والمتكلم. في أدب العالم، والمتعلم لصاحبه الإمام العلامة القاضي بدر الدين ابن جماعة الكناي الشافعي رحمه الله تعالى، ومع آخر نوع من أنواع الفصل الثالث في أدب العالم مع طلبته مطلقاً، وفي حلقته، وهو النوع الرابع عشر، يقول المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين، أن يتواضع مع الطالب. ومع كل مسترشد سائل، إذا قام بما يجب عليه من حقوق الله وحقوقه، ويخفف له جناحه، ويلين له جانبه، قال الله تعالى وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أعظم صفة يجب أن يتصف بها كل أستاذ، وكل معلم وكل شيخ، هي صفة التواضع، لأن التواضع هو الذي يكسب محبة الناس، والذي يكسب محبة الله سبحانه وتعالى، وهو أعظم سبب من أسباب القبول. إذا أردت أن تكون مصدر قبول بين الناس. وإذا أردت أن تكون دروسك نافعة، فعليك أن تكون متواضعاً، وكما قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه، فالطالب إذا رأى شيخه فيه سمت التواضع، وسمت الحلم، وسمت محق النفس، وسمت عدم الانتصار للنفس، وهذا كله يدخل تحت التواضع يعني. كان حبل الاتصال بينه وبين شيخه قويا، بل النبي صلى الله عليه وسلم، وما أدراك خير خلق الله. أفضل معلم في هذا الكون كان أكثر الناس تواضعاً، رغم ما أولاه الله من نعمه ومن رفعة قدره عليه الصلاة والسلام، وإذا أردنا أن نتأسى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلنتأسى بأخلاقه، خاصة التواضع، يعني، وكما قال في حقه صلى الله عليه وسلم، يعني ربنا سبحانه وتعالى مخاطباً حبيبه عليه الصلاة والسلام، قال ولو لفظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، وصحى عن النبي صلى الله عليه وسلم. إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا، يعني هذا أمر إلهي وحي من الله سبحانه وتعالى أن يتصف الإنسان بالتواضع، فما بالك إذا كان في مقام التدريس، وفي مقام التعليم؟ وما تواضع أحد لله. إلا رفعه الله، وهذا لمطلق الناس، فكيف بمن له حق الصحبة، وحرمة التردد، وصدق التودد، وشرف الطلب؟ يعني الأمر في حقه أكد وأولى، وفي الحديث لينوا لمن تعلمون، ولمن تتعلمون منه، وعن الفضيل من تواضع لله. ورثه الحكمة كلما تواضع الإنسان، والتواضع من جملة التقوى، وقلنا أن الله سبحانه وتعالى يقول اتقوا الله. ويعلمكم الله، فكلما تواضعت كلما رفعت.

وكلما رفعت ازددت فتحا، وازددت فهما، وازددت علما. وألقى الله في قلوبك مفاتيح العلم، وأنوار الفهم. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحلينا بالتواضع. وينبغي أن يخاطب كلا منهم. لا سيما الفاضل المتميز بكنيته، ونحوها من أحب الأسماء. وما فيه تعظيم له، وتوقير، فعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقني أصحابه إكراما لهم، الأصل أن يخاطب الإنسان أخاه بأحب الأسماء إليه، وأن يناديه بأحب الأسماء إليه، والعرب قديما كانت تستقبح أن تنادي بعضها بعضا بأسمائها المجردة، فكانت تستعمل الكنية، يعني يا أبا فلان، ويا أبا فلان. يعني هذه الكنية علامة تعظيم وتوقير. قد تكون الكنية غائبة بزماننا هذا، وفي

عرفنا نحن لا نستعمل ولا ننادي بعضنا البعض. بي يا أبا فلان، لكن على الأقل نستخدم المصطلحات التي تتم عن توقير، والتي تدل على احترام، مثلاً نحن يعني صاحبنا مشايخنا منذ السنة الأولى، لا زلنا في الجلسة الأولى، لا زلنا في السنة الأولى في التعليم الشرعي، وينادوننا يا مولانا، يا شيخ فلان، يا أستاذ فلان، ونحن لا نستحق. لقب الطالب أصلاً، فضلاً عن أن نلقب بالشيخ أو الأستاذ، ولكن هذا أولاً، النقطة الأولى فيها احترام وتواضع من الشيخ أولاً، واحترام من الشيخ لتلميذه، وثانياً لعله فال حسن يعني يناديك بالأستاذ وبالشيخ، لعل الله سبحانه وتعالى يوفقك بعد مسيرة طلب العلم. أن تصبح أستاذنا، وأن تصبح شيخاً، وكذلك ينبغي أن يترحب بالطلبة إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه. ويكرمهم إذا جلسوا إليه، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم، وأحوال من يتعلق بهم، بعد رد سلامهم. هذا كله دليل على قوة التواصل، وقوة العلاقة التي تربط بين الأستاذ وبين التلميذ، نعيد ونكرر أكثر من مرة. الأصل أن العلاقة بين الأستاذ والتلميذ كعلاقة الأب بابنه. يعني إذا غاب يسأل عن أحواله، إذا مرض، عاده إذا شعر. أن التلميذ في حالة نفسية أو في هم أو غم يعني يحاول أن يسليه ويحاول أن يغير حاله من حال إلى حال أحسن حال، يعني نحن لما كنا نمرض كان مشايخنا يعودوننا ويسألوننا بالهاتف ويترجوننا بأن نقدم لهم الطلبات، يعني هل تستحقون شيء؟ هل تحتاجون إلى شيء؟ إلى غير ذلك؟ من الأساليب التي تدل على أخلاقهم، وعلى رفعة آدابهم، والتي تدل على تواضعهم الحقيقي، يعني لم يكن هذا الأمر تكلفاً، لأن هذه صفات العلماء، الربانيين، العلماء المحمديين الذين تخلقوا بأخلاق سيدنا محمد، يعني يا أستاذ مهما كثر علمك وهي شيخ مهما كثر علمك يعني. نحن لا نساوي شيئاً، كل الأمة لا تساوي شيئاً أمام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم. ورغم ذلك، كان يجلس مع الغني ومع الفقير، كان يجلس مع العالم وغير العالم، كان حليماً بجميع الناس، كان رحيماً بجميع الناس، كان رؤوفاً بجميع الناس، كان متواضعاً مع جميع الناس صلى الله عليه وسلم، ويعاملهم بطلاقة الوجه، وظهور البشر، وحسن المودة، وإعلام المحبة، وإضمار الشفقة. التي نسردها الآن. في الحقيقة هي أخلاق كل مسلم. النبي عليه الصلاة والسلام قال تبسمك في وجه أخيك صدقة، لأن تلقى أخاك بوجه طلق إلى غيرها من الأحاديث، والأحاديث التي تقول كان صلى الله عليه وسلم دائماً البشر، يعني لا أدري لماذا يظن البعض أنه إذا صار

استاذاً، أو إذا صار منتسباً إلى أهل العلم صار عبوساً؟ صار، يعني لا تظهر علامات التبسم وعلامات البشر في وجهه، وكأن هناك علاقة والتزام وتلازم. بين العلم وبين عدم البسط وتكشير العينين وقرن الحواجب، هذا ليس له أي علاقة، وأي التزام، كان النبي صلى الله عليه وسلم دائماً بش. يعني لا تظن أنك كلما قرنت حاجبك ارتفعت في مستواك العلمي بالعكس، الأصل أن تكون دائماً البشر دائماً التبسم، حتى إذا نظر إليك الطالب، بل حتى إذا نظر إليك العامي. أدخلت السرور إلى قلبه، وانشرح صدره. هذا هو الأصل. قال لأن ذلك أشرح لصدره، وأطلقوا لوجهه، وأبسط لسؤاله. الطالب إذا رأى شيخه دائماً عبوساً لا يضحك، لا يتبسم، لا يمزح، هذا حتى لا يتجراً على مجرد أن يسأل شيخه في مسألة لم يفهمها. أو إذا سأله شيخه هل فهمت؟ طبعاً سيقول فهم لأنه يخاف من ردة فعل الشيخ، أما إذا كان الشيخ منشراحاً منبسطاً جدياً في وقت الجد يمازح في وقت المزاح هذا يدخل إلى قلوب الطلبة بدون استئذان، بل يجعل الطلب مرتاحين نفسياً. يسألون الشيخ يمكن أن يكررون السؤال. يمكن، حتى إذا لم يفهمنا المرة الأولى، يمكن أن يعيد من المرة الثانية، وهذه الطريقة لا بد أن يزرعها، أو هذا الانفعال النفسي الذي في الطلبة مع شيخه، لا بد أن يزرعه الشيخ في طلبته، يعني لا تخف، أنا لا أغضب مهما سألت، يعني، المهم أن تكون منضبطاً، المهم أن تكون مجتهداً، فتجد الطالب يرتاح نفسياً، بل تصير الراحة النفسية تنقلب موداً، تنقلب محبة. لذلك، قال ويزيد في ذلك لمن

يرجى فلاحه، ويظهر صلاحه. هذا التودد، وهذا البسط. يزداد مع الطالب المجتهد الذي يرجى نجاحه، ويرجى فلاحه حتى يآلفه. قال وبالجمله فهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفي أن تستحضر أن طلبه العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلينا أن نتعامل خيرا، وأن نعامل خيرا. مع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو سعيد الخدر عنه صلى الله عليه وسلم، قال إن الناس لكم تبعًا، وإن رجالًا يأتونكم من أقطار الأرض، يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا، قولوا مرحبًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني المشايخ والأساتذة كانوا إذا دخلنا عليهم يقولون مرحبًا. بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان البويطي يدني القراء ويقربهم إذا طلبوا العلم، ويعرفهم فضل الشافعي، وفضل كتبه البويطي، هذا من أصحاب الإمام الشافعي، كان إذا رأى حفاظ كتاب الله، يعني يوليهم أكثر اهتمامًا، لأن الذي يحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى هذا أولى من غيره في طلب العلم، وهو أولى بالتبجيل، وأولى بالاهتمام. قال ويقول. كان الشافعي يأمر بذلك، يعني أخذ هذا الأدب من شيخه الإمام الشافعي ويقول اصبر للغرباء وغيرهم من التلاميذ. وقيل كان أبو حنيفة، أكرم الناس مجالسة، وأشدهم إكرامًا لصاحبه، لهذا الكلام ننهي من الباب الثاني المتعلق. آ، وبكل الجزء الأول الذي يتعلق. بأدب العالم، سواء مع نفسه أو مع طلبته، أو مع حلقاته، نسأل الله.

سبحانه وتعالى أن يؤدبنا بآداب سيدنا محمد، وأن يخلقنا بأخلاق سيدنا محمد، وأن يرزقنا الاتباع بعد الاستماع، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.